

كِتَابُ الْفَقْهَةِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ
أ.د. عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّوَيْعِرِ



الشيخ لم يُراجع التَّفْرِيعَ



كَيْفَ تَقْرَأُ الْكِتَابَ الْفَقْهَ

☎ 00966558883286

📺 YouTube/alshuwayer9

🐦 📧 📌 📷 @alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalshuwayer@gmail.com

لَيْسَ إِلَهُ إِلَّا الْحَقُّ وَالْقَائِمَاتِ الْعِلْمِيَّةُ الْفَضِيلَةُ الشَّيْخِ

٥٠

كَيْفَ تَقْرَأُ الْكِتَابَ الْفَقْهَ



لَفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدُّكُورِ
عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّوَيْعَرِ

النُّسخَةُ الْأُولَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** تسليماً كثيراً.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

فهذه الكلمة في دقائق معدودة بمشيئة الله **عَزَّوَجَلَّ**، عُنون لها من قبل الإخوة الأفاضل بعنوان: **«كيف تقرأ في كتب الفقه؟»** والحقيقة أنني وجدت هذا السؤال إجابته من أصعب الإجابة، وذلك أيها الإخوة أن العلماء **رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى** يقولون: إنَّ الفقه صنعة، كما عبّر بذلك أبو الوليد ابن رشد في كتابه «الضروري في أصول الفقه»، والصنعة تعليمها من الأمور الدقيقة التي تحتاج إلى دُرْبَةٍ، وإلى ملازمةٍ وطولٍ مكثٍّ، وقبل ذلك توفيقٌ من الله **عَزَّوَجَلَّ** وذكاء من الشخص ومناسبةٍ في نفسه وذهنه.

ولذلك فإنَّ إجابة هذا السؤال قد يكون من أصعب الأمور، فيما زلت أقلب هذا الموضوع في ذهني فلا أجد له جواباً، بيد أني سأحور الموضوع قليلاً، فبدل من أن يكون موضوع هذه المحاضرة: **«كيف تقرأ في كتب الفقه؟»**، ليكن الحديث عن كتب الفقه، بدلاً عن كيفية القراءة فيها؛ فإن الكتب وسيلة من الوسائل المهمة في تحصيل العلم، ولذلك من ما زال أهل العلم في الحديث وغيره يعتدون ويعتبرون بالوجادة للكتب طريقاً من طريق التحمل وطريقاً من طريق النقل والاعتماد عليه، ولذلك النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الأصل فيه أنه نقل بعض حديثه في حياته عن طريق الكتب والوجادة كما كتب **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لهرقل وغيره من ملوك الآفاق.

إذن: هذه الكتب في الحقيقة هي وسيلة من وسائل تحصيل العلم؛ لأن طالب العلم يحصل العلم بوسائل، من هذه الوسائل الكتب كما مر معنا ومنها: الأخذ عن الأشياخ، ومنها الرواية، ومنها المذاكرة، ومنها الحفظ، وغير ذلك مما يكون مندرجاً أو قسيماً لهذه الأمور التي سبق ذكرها، والحقيقة أن الكتب والقراءة فيها كما أنه أمر مهم فإنه أحياناً قد يكون سبباً في الانصراف عن العلم؛ لأن ذلك يكون سبباً في الانصراف من جهات:

❁ **الجهة الأولى:** حينما يرى المرء كثرة الكتب، ويرى المرء كثرة العلم، فحينئذٍ يستصعبه، يستصعب العلم، ويستثقل قراءة هذه الكتب كلها، كما قال علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** «العلم نقطة كثرة الجاهلون بخوضهم»، ولذلك كلما طال الزمان عن عهد النبوة، كلما كثر الكلام، وكثر الخوض، وكثر التفصيل والتشقيق للمسائل، وأقل المسائل التي العمدة فيها على حديثٍ أو حديثين؛ لربما أُلِّفَتْ مجلدات وأعني ما أعني بهذا الأمر.

فعلى سبيل المثال: قراءة المأموم الفاتحة خلف الإمام أُلِّفَ فيها أكثر من خمسة عشر مؤلفاً من غير تتبع ولا استقراء لهذه المسألة، والإشارة بسبابة المصلي حال التشهد أُلِّفَ فيها أكثر من العدد الذي ذكرته قبل قليل في نفي الإشارة وإثباتها وتتبع طرق الحديث وعلله، وما يتعلق في محلها، وهذا القول بأنها أربعة مواضع يُشار فيها وما عدا ذلك من الأمور.

إذا كانت المسألة بهذه القلة وهذه السهولة ومع ذلك كثر في هذا التشقيق، فإن كثرة الكتب أحياناً تكون سبباً للبعد وتصعيب العلم على بعض الناس.

❁ **الأمر الثاني:** أن كثرة الكتب أحياناً قد تكون سبباً في التكاثر، وقد قال الله **عَزَّ وَجَلَّ:**

﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١ - ٢]، وقد جاء من بعض من له لطائف في حديثه أن قال: إنَّ جمع الكتب إذا كان من غير قصد الإفادة والقراءة فيها يكون من التكاثر، وهذا معروف، فإننا نعرف من طلبة العلم من يباهي غيره ويُنافسه في شرائه أَجَدَ الْكُتُبِ، بل وأنفسها وأعتقها، فيجد أن للكتاب طبعتين، فينتقي منها الأعلى ثمناً لا الأفضل له، ولربَّما اشترى الغالية بأضعاف أضعاف وأعني ما أقول، بأضعاف أضعاف قيمة الثانية وإذا اشتراها فإنه لا يقرأ فيها لكون ورقها قديماً مهترئ أو لغير ذلك من الأسباب، فهذا في الحقيقة داخل كما ذكر بعض الفضلاء في قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، التكاثر في كل شيء، ومنه أن يتكاثر على الناس ويفاخرهم بكثرة كتبه وتميز طبعاتها، وما يتعلق به.

إذن: قضية كثرة الكتب أحياناً قد يكون مشكل، وفي نفس الوقت فإنه لا شك ولا ريب أن من أكثر ما يُعين على ضبط العلم، وعدم السَّامة فيه، وعدم الملل في تحصيله، وفي نفس الوقت في فهم العلم كثرة الكتب؛ لأن الشخص قد يقرأ كتاباً فيمر عليه فهم المسألة إما فاقداً للفهم بالكلية، وإما أن يفهم جزءاً منها لا على سبيل الإطلاق، فإذا قرأه في كتاب آخر، الثاني وضح الأول، وزاد قيماً، وفتح مشكلاً.

كما أن المرء إذا اشترى كتاباً وإن كان الكتاب الأول يغني عن الثاني، لكنه إذا اشترى الثاني فسيقرأ فيه فيجدد المعلومة التي قرأها في الأول، ولذلك قال بعض الفضلاء: إذا أردت أن تعرف الرجل هل ما زال مع طول عمره وتقدمه، هل ما زال ممَّن يجدد علمه أم لا؟ فانظر هل يقتني الكتب أم لا؟ فإن كان يقتني الكتب، فمعناه أن الرجل ما زال يُحدث معلوماته، وما زال يقرأ، إذ المرء بطبعه يملُّ من الكتابة، الذي لا يُملُّ منه شيء واحد وهو القرآن، لا يخلق على كثرة الرد، كما جاء في حديث الحارث الأعور عن علي.

ما عدا ذلك من الكتب يمل منها صاحبها، ويمل من تكرارها، ويمل من الإعادة من النظر فيها، فإذا غيّر الكتاب بأسلوبٍ واسمٍ وورقٍ آخر؛ ربما كان ذلك سبباً في تثبيت العلم، وهذا واضح، فأنا أعلم من الذين لهم في طلب العلم ثلاثين سنة أو أربعين سنة، غالباً الذين استمروا هم الذين ما زالوا يتابعون الكتب في فن أو في فنون فيقتنونها أو يقرؤونها من غير اقتناء كإعارة من مكاتب عامة ونحو ذلك.

إذن: أريد أن نعلم مسألة، وهذه المقدمة نجعلها مدخلاً، أن الكتب هي نعمة من الله عز وجلّ ووسيلة التحصيل العلم بطرق مختلفة لكسب المعلومة، وفهم المعلومة السابقة، والتذكر لهذا العلم، وقد تكون أحياناً فتنة لصاحبها إمّا إذا رأى الكتب الكثيرة استصعب العلم، وإمّا أن تكون فتنة حينما يشغل بزخرف هذه الكتب وشكلها عن مضمونها، وهذا واقع لا يتكلم عن أناس بعيدين، فإنّ منّا من نعرف أنهم إنّما يعتني في الكتب بهيئتها وشكلها والمفاخرة بها لا بالقراءة.

ولذلك قد يكون بعض الناس كمثل الذي يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها.

إذن: نرجع لمسألة الكتب مهمة جداً، وما زال أهل العلم يعنون بكتب الفقه، ولهم في تحصيلها غرائب الأخبار، وعجائب الآثار، وأذكر لكم قصة واحدة على سبيل الإيجاز، كيف أن بعض أهل العلم يتعب تعباً كثيراً في تحصيل بعض الكتب، قيل: إن إسحاق بن إبراهيم بن راهويه إمام من أئمة المسلمين ولا شك أن الإمام إسحاق **رحمه الله تعالى** أراد أن يتحصل على كتب الشافعي -محمد بن إدريس- في الفقه، فبحث عنها فلم يجدها، فقليل له: إن رجلاً كان ممن كتبها عن الشافعي **أي:** من تلاميذ الشافعي، كتب عنه كتبه، وأنّ هذا الرجل قد مات، وورث كتبه زوجته، **أي:** ورثت زوجته كتب زوجها، قيل: فكان

إسحاق أو فإسحاق تقدم هذه المرأة وتزوجها لا رغبةً بها، وإنما رغبة في كتب الشافعي التي عندها.

إذن: يتزوج امرأة لأجل أن يتحصل على كتب الشافعي، حتى قيل: إن كتاب الجامع لإسحاق، لكن قيل ما لم يصح بذلك أن كثيراً منه إنما نقله من كتب الشافعي القديمة على طريقة العراقيين التي أخذها بهذه الوسيلة.

فالمقصود: من هذا أن أهل العلم كانوا يعنون ويتعبون في تحصيل الكتب، أمر عجيب جداً، وقد ألفت كتب مفردة في تعب العلماء في التحصيل على الكتب.

هذه الكتب كتب الفقه، الحقيقة كتب متنوعة ومتعددة، وأذكر مرة من المرات، في بيت الشيخ عبدالرزاق -عليه رحمة الله-، كانت كتب الفقه في مكتبته درفة واحدة، ولم يكن أحد يشك أن الشيخ من أكبر الفقهاء، بل الشيخ لما كان، الشيخ عبدالرزاق عفيفي أقصد، لما كان يدرس الطلاب في الشريعة قبل نحو من أربعين أو نحو من خمسين أو ستين سنة، كانوا يقولون للشيخ **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى**: يا شيخ أن تأتينا بعلم لا ندري من أين تأتينا به؟ فما هو الكتاب الذي ترجع له يا شيخ لكي نأخذ منه هذا العلم، قال: أنا لا أرجع إلى الكتاب الواحد، هذا الكتاب الذي بين أيديكم هو الروض، فإن هذا «الروض» فيه مسألة وفيه تصوير للمسألة، فيه المسألة عنوانها، وفيه تصوير المسألة، وفيه دليل المسألة، وفيه ضابط المسألة، يقول الروض هذا فيه أربعة، لكن كيف تقرأ هذا الكتاب؟ انظر هذا الرجل، هذا العالم، قرأ هذا الكتاب الشيخ عبدالرزاق عفيفي، وكان يستخرج منه كلاماً يقولون: استعجموا في الكتاب عندنا فلا نستخرج ما استخرجت، وإن لقراءة كتب أهل العلم طريقة وفن ومسلك مهم جداً يجب أن المرء يعتاد عليه، فليست قراءة كتب الفقه، كما تُقرأ كتب

الأدب، يمر عليها المرء مروراً سريعاً، وإنما لقراءة كتب الفقه طريقة اعتاد عليها أهل العلم فلا بد من الانتباه لها.

❁ **مسألة:** قبل الحديث عن طريقة قراءة الكتب، وإن كنت نسيت الرجوع لهذا الموضوع فذكروني فإنني أنسى، أريد أن أبين مسألة: وهو أن كتب الفقه متنوعة، ومتعددة، وليست على سننٍ واحد، ولا على مسلكٍ واحد، بل من المهم إذا أردت أن تقرأ كتاباً من كتب الفقه أن تعلم لم أُلّف هذا الكتاب وما غرض مؤلفه من وضعه؛ فإن بعض الكتب أُلّفت لأجل التعليم، كتب التعليم، حتى أن بعضها سُميت هكذا مسائل التعليم، كتاب ابن حجر، الهيثم الشافعي، ففي كتب أُلّفت لأجل التعليم، وهذه الكتب التي أُلّفت لأجل التعليم أغلبها من المختصرات، فالمختصر يُجعل ليتعلم به المبتدئ، ويحفظه المتوسط، ويستذكر به المنتهي، ويستذكر **يعني**: يتذكر العلم ويعرف مواطن المسائل بقراءة هذا المختصر، قلنا يبتدئ به المبتدئ فيرتاض ويتعود على كتب الفقه، ويعرف مصطلحاتهم، ويعرف تبويبهم، ويحفظه المتوسط، لأن المرء إذا حفظ متناً فإنه يجاوز مرحلة المبتدئ ويكون متوسطاً، وأما المنتهي فإنه يحتاج لهذه المختصرات للاستذكار، فإن المرء بين الفينة والأخرى يحتاج إلى استذكار العلم الذي علمه، وأسهل طريقة للمراجعة مراجعة المحفوظ، ومن المحفوظ حفظ المختصرات، كما قال الناظم:

قَدْ اصْطَفَى خِيَارَ الْخَلْقِ لَهُ

وَبَعْدُ فَالْفِقْهُ عَظِيمُ الْمَنْزَلَةِ

بِدُونِ حِفْظِ لَفْظِهِ لَا يَنْفَعُ

لَكِنَّهُ بَلْ كُلُّ عِلْمٍ يُوَضَّعُ

فحتى المنتهي لا بد أن يكون حافظاً لمختصر ونحو ذلك، إذا المختصرات جعلت لهذه الأغراض، لم تجعل المختصرات، انظر لعبارتني: "لم تجعل المختصرات لمعرفة المذهب"، لذلك يقول بعضهم وهو ابن قاسم قطلوبغا الحنفي: «اعلم أن التصحيح النصي مقدّم على التصحيح الالتزامي»، التصحيح الالتزامي ما هو؟ أن يأتي مؤلف فيقول: إن كل ما ذكرته في هذا الكتاب هو المعتمد في مذهب فلان، هذه تصحيح التزامي، مقدّم عليه التصحيح النصي، عندما يقول: هذه المسألة المعتمد والمشهور والصحيح أو المذهب كذا فيها.

إذن: فالنصي مقدّم على الالتزامي، ولذلك إذا أردت أن تنسب قولاً بمدرسة ما، فحينها تنسبه لمختصر يعتبر ذلك قصور، قصور ليس خطأ وإنما هو قصور، وتمام العمل أن تذكر من الذي صحح من كتب التصحيح والترجيح وبيان المذهب الصريحة، هذا هو الصواب فيها، ولذلك قلّما يوجد كتاب من المختصرات إلا ويوجد فيه من الأخطاء والفوات، ولذلك ألف العلماء كتباً باسم كتب التصحيح، هناك كتب اسمها كتب التصحيح، والتصحيح إنما يكون في الغالب المختصرات، يأتي بمختصر فيقول: إن صاحب المختصر أخطأ في كذا فخالف، لم يحسن في التعبير في كذا، وهكذا.

إذن: التصحيح هذه كتب موجودة جداً، وكتب موجودة ومشهورة جداً، ومنها ما طبع كتاب «تصحيح التنبيه للنووي»، ومنها كتاب «تصحيح المنهاج للبلقيني»، والبلقيني ألف النصف الأخير وما ألف النصف الأول من الكتاب، ولذلك هو لا يريد إلا النصف الأخير؛ لأن النصف الأول ما ألفه، وهو كتاب يدل على سعة علم هذا الرجل واطلاعه، ومنها «تصحيح القدوري على مذهب الحنفية»، لصاحبه الذي ذكرناه قبل قليل ابن قاسم

قطلوبغا، ومنها كتاب «تصحيح الفروع» للقاضي علاء الدين المرداوي على مذهب الإمام أحمد، والعلماء يقولون: - كما ذكر ذلك بعض المحشين - أن الإطلاق عندهم خطأ، فالإطلاق في الكتب خطأ، فمن تصحيحه أن تذكر القيد.

إذن: أريد أن تعلم مسألة مما ذكرته وألخصها، أن من أهم الأمر أن تعرف الغرض من تأليف المؤلف، فمن أغراض المؤلفين في المختصرات قصدهم التعليم، فلا تنزل المختصر منزلة فوق منزلته، وإنما المقصود به التعليم، والاستظهار، والحفظ والتذكر، ولكن طالب العلم الدقيق إذا أراد أن ينسب مسألة لمذهب فلا يخرجها من المختصرات، وإنما يأخذها ممن صَحَّحها تصحيحاً صريحاً، فلا تجاوز به المراد، كما أن هذه المختصرات لم تجعل أصلاً للتدليل، فإن هناك كتباً جعلت للتدليل، وبعض الناس يبحث عن مسألة في مذهبٍ ما، ويريد دليل هذه المسألة فينظر في كتاب وكتابين وثلاثة، يقول: لم أجد لها دليل؟ نقول: لأنك مثلاً تبحث في الكتب التي عُنيَت بالتدليل، وإنما بحثت إمّا في مختصرٍ أو في كتاب ذكر خلافٍ نازلٍ، أو في كتاب إنما قصده التفریع، فهناك كتب من الفقه الغرض منها التفریع وسأشير له بعد قليل.

إذن: أريد أن نرجع مرة أخرى إلى المختصرات وعرفنا غرضها، وعرفنا ما يتعلق بالمختصرات أن هناك كتب ألفت عليها تسمى بالتصحيح إضافة للشروح.

الغرض الثاني من أغراض المؤلفين في التأليف في الفقه الذي أشرت له قبل قليل وهو التدليل، التدليل على المسائل، وهذه الكتب مهم جداً أن طالب العلم يعرفها أن يعرف هذه الكتب، لكي إذا أراد دليل مسألة أو مناطها فإنه يرجع إلى هذه الكتب، فإن هذه الكتب هي العمدة في ذلك، وقبل أن أذكر بعض من أسماء الكتب في هذا الباب بحسب ما يسمح

به الذهن، اعلم أن التدليل أنواع، فهناك كتب ألفت للتدليل النصي **يعني**: الأحاديث التي تدل على هذا المذهب، **فعلى سبيل المثال**: «سنن الدارقطني»، هذا الكتاب ألفت للتدليل لمذهب الشافعي، سنن الدارقطني هذا المشهور، أساساً ألفه أبو الحسن علي الدارقطني للتدليل على مذهب الشافعي، وكذلك كتب البيهقي، وخاصة المعرفة، معرفة السنن والآثار، إنما أتى به لحشد الأدلة التي توافق مذهب الشافعي **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى**، ومثله على مذهب الإمام أحمد «سنن الأثرم»، وقد وجد بعضه وفقد أكثره، وعند أبي حنيفة النعمان وأصحابه أشهر كتبه كتاب العظيم كتاب أبي جعفر الطحاوي، صاحب «مشكل الآثار»، و«شرح معاني الآثار»، فإنه في الحقيقة ذكر هذه مسندة للتدليل على مذهب أبي حنيفة النعمان **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى**، ومثله مذهب مالك، وأجله «موطأ مالك»، فإنه للتدليل لمذهبه.

إذن: المقصود أن هناك كتب مسندة للتدليل، وهناك كتب بعد ذلك جُمعت للتدليل، للتدليل ما أتيت بالتعليل بعد، وإنما للتدليل النصي.

من الكتب التي عُيِنَت للتدليل النصي على مذهب أحمد لعلي أختصر ولا أذكر إلا كتب مذهب الإمام أحمد اختصاراً، من الكتب التي عُيِنَت بالتدليل على مذهب الإمام أحمد كتاب مهم جداً جداً، وهو كتاب «الممتع شرح المقنع» لابن المنجى، هذا الكتاب مهم جداً هو الذي ألفت ابتداءً لحشد الأدلة للرواية التي أوردها المقنع صاحب «المقنع الموفق»، والرواية الأخرى التي أشار إليها، ولذلك لا يستغني أحد من الاستدلال بمذهب الإمام أحمد عن هذا الكتاب، وكثير من هذه الأدلة التي فيه نقلها البرهان ابن مفلح في «المبدع»، وكثير من أدلة صاحب «المبدع» نقلها صاحب «الكشاف»، إذا صاحب الكشاف

ينقل أكثر الأدلة عن «المبدع»، و«المبدع» استفاد كثيراً من كتاب الممتع لابن المنجى -
رحمة الله على الجميع -.

إذن: من اقتني هذا الكتاب وهو «الممتع» في ست مجلدات، إذا أردت أن تفتحه فإنك لا تفتحه تبحث عن خلاف، ولا حل ألفاظ، ولا تفريع، ولا تبين مسائل، وإنما تفتحه لأجل الاستدلال فقط، والكتب التي تتعلّق في الاستدلال في جمع الأحاديث وتخريجها كثيرة جداً، ولكن أريدك أن تعلم أنه هناك كتباً ألفت في الاستدلال.

✻ **النوع الثالث:** هذا انتبه له، أن من الكتب المهمة جداً، الكتب التي ألفت لأجل ذكر الخلاف، هناك كتب الغرض منها ذكر الخلاف فقط، وقد يكون ذكر الخلاف نازلاً أو عالياً، فإن كان عالياً، فإنه اصطلح بعض أهل العلم على تسمية هذه الكتب برؤوس المسائل، فيذكرون رؤوس المسائل للخلاف فيها، وإن كان نازلاً، **يعني:** الخلاف في داخل مذهب واحد، فإنه تُسمي ذكر الخلاف المذهبي، هذه الكتب مهمة جداً جداً، لأنه في الغالب إذا أردت أن تحكي قولاً في المذهب مذهب ما؛ فلا بد أن ترجع لهذه الكتب لحكاية الخلاف النازل فيها، هذه الكتب تحشد لك الخلاف الموجود في الكتب كلها وتجمعه في كتاب واحد، هذه الكتب غالباً مع ذكر الخلاف يُبينون ما هو المعتمد، بأن من أجل القواعد في معرفة المعتمد معرفته باعتبار الأكثر، فمؤلف هذا الكتاب قال: إن هذه المسألة وجدت فيها وجهين:

- الوجه الأول: قال به عشرة.

- والثاني: قال به ثلاثة.

بناءً على ذلك: يختتم بقاعدة أن المعتمد والمشهور، النقل المشهور لأن المشهور المراد في قول الأكثر أن المشهور هو الأوجب دون الثاني، من قواعد البيان المعتمد، وصحيح المذهب متعدّدة تصل إلى ست أو سبع قواعد منها قول الأكثر، كيف تعرف قول الأكثر؟ عن طريق هذه الكتب، الأول قال به فلان، وفلان، وفلان، وفلان.

الكتب التي عُنيت بذكر الخلاف في داخل المذهب كثيرة جداً، ولكنها تنقسم إلى قسمين:

❁ **القسم الأول:** كتب تذكر كل خلاف المذهب، كل خلافٍ بالمذهب تذكره، وهذا مثل الكتاب العظيم الذي هو من أهم كتب الحنابلة وهو كتاب «الإنصاف»، للقاضي علاء الدين المرداوي، واسمه «الإنصاف في معرفة الخلاف»، والمراد بالخلاف هنا خلاف المذهبي النازل، فإنه لا يذكر خلاف الأئمة كالإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي، هذا الكتاب مهم جداً ولا يستغني عنه طالب علم في ضبط مذهب الإمام أحمد ومعرفة الخلاف فيه، فإنه جمع ما وقف عليه من كتب، وقد كان علاء الدين المرداوي ناظر مكتبة، ناظر المكتبة العُمانية، ليس عنده عمل إلا الجلوس في المكتبة، فلذلك كان يجمع الكتب، ويجمع جمعاً لم يسبق إليه -عليه رحمة الله-.

ومن أهم الكتب التي جمعت الخلاف كله في مذهبٍ ما، كتاب العزيز الرافعي، وكتاب العزيز الرافعي، من أهم كتب الشافعية، حتى قال ابن النقاش شيخ الحافظ ابن حجر: «اليوم رافعية لا شافعية، أصبحت لا ترجع لكلام الشافعي ونسيتموه، وإنما ترجعون لكلام الرافعي»، ومن النكت هنا: أن بعضاً ممن استدرِك هذا الرافعي وهو عبدالرحيم الإسنوي في كتاب استدركه عن الرافعي، قال: «وقد وقفت على كتب لم يقف عليها الرافعي»، هذا

الرافعي الذي اعتمدوه، لكن ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، هذا الرافعي مع الوقوف على هذه الكتب إلا أنه لم يقف على بعض الكتب، جاء من بعده بنحو مائتي عام ففاخر فقال: «وقفت على كتب لم يقف عليها الرافعي»، وقد ذكروا أن الرافعي لم يقف على كتب الشافعي نفسه، لم يقف على الكتاب «الأم»، قيل ذلك لا أدري، لكنه نُقل أنه لم يقف على الشافعي، بحث عنه لم يجده.

وهذه هنا نكتة لو نخرج قليلاً، هذا الرافعي الذي ملأ الدنيا سمعاً وبصراً في زمانه حتى قيل أنه الاعتماد على كلامه الشيخان هو والنووي، ومع ذلك لم يقف على هذا الكتاب الذي أصغر طلبة العلم عندنا يستطيع الوقوف عليه، بل كلكم جميعاً الآن في دقيقة واحدة تستطيع أن تفتح عن طريق جهازك الذكي فتأتيك أربع طبعات من كتاب «الأم».

❁ **مسألة:** وهذا يدلنا على مسألة لا بد أن ننتبه لها أن العلم ليس بكثرة الكتب، وإنما العلم ببذل الجهد، بعض الإخوان يريد أن يتحصل على العلم ثم يأتيك يقول: أعطني الكتب لأسجلها، إذا رأيت الرجل مقبلاً بهذه الهيئة فاعلم أنه قد لا يستمر في كثير من الأحيان، خذ العلم بالتدرج، وخذ العلم بالاكْتِسَاب، ولا تأخذ كلام غيرك في أسماء الكتب، وإنما خذ الخبرة في التعامل مع الكتب، أنت قد تحصل على كتب لم يقف عليها الراوي مثل هذا الكتاب، ومع ذلك طالب علم من بعد الرافعي في مذهب الشافعي إذ به لا يكاد أحد يقاربه إلا القليل، **إذن:** ليس دائماً كثرة الكتب علامة العلم أو علامة التميز، أو علامة الفهم، بل قد يكون ضد ذلك.

إذن: هذا النوع الأول من أنواع معرفة كتب الخلاف أو الخلاف الكلي في المذهب،

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، لا بد أن يكون هناك قد فات بعضهم بعض الشيء.

✽ **القسم الثاني:** هناك نوع من ذكر الخلاف داخل المذهب، هناك كتب الغرض منها ذكر الخلاف القوي في المذهب، لا يذكرون كل الخلاف، وإنما يذكرون الخلاف القوي فقط، هذه الكتب عند الحنابلة **مثلاً** يقولون: هي الكتب التي بين الروائتين، القاضي أبو يعلى - عليه رحمة الله - وهذا إمام من أئمة المسلمين، ألف كتاباً سمّاه «الروائتين والوجهين»، وهو مطبوع وموجود، أراد أن يبين أن هذه المسألة أهم شيء فيها قولان، ماعدا ذلك هي روايات وأقوال لكنها ليست قوية، جاء ابن الفراء فكمّله فسمّاه «التّمَام»، وقبلهما أبو بكر عبد العزيز بن جعفر هو ابن الخلال في كتاب «زاد المسافر»، وفي: «التنبيه»، وفي: «الشافعي»، أراد أن يذكر الخلاف القوي فقط الروائتين ولا يذكر ما عدا ذلك.

من طريقة المتأخرين الذي عني بذكر القولين، وهو من أهم الكتب ويجب على طالب العلم أن يقتنيه إن أراد أن يعرف الخلاف القوي في المذهب، وهو كتاب «الكافي» للموفق ابن قدامة، وهذا كتاب عظيم جداً تستفيد منه أمرين:

✽ **الخلاف القوي:** وهو رواية هذه القوليّات، ومن أهم الكتب في معرفة قواعد المذهب هذا الكتاب، هذا الكتاب يضبط لك القواعد والمناطات، وهي الأدلة وهي الأقيسة، المناطات هي الأقيسة، ففيه من العلم الشيء العظيم، وأحد المشايخ الكبار العلماء **رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى**، توفي - عليه رحمة الله - من المشايخ الكبار العلماء الكل يعرفه بلا استثناء، كان يقول: هذا الكتاب كنت غافلاً عنه ولم أعلم به إلا متأخراً، كنّا غافلين عن هذا

الكتاب وهو «الكافي»؛ لأن فيه علماً عظيماً، وهو كتاب «الكافي» للموفق، كفى به كافٍ - عليه رحمة الله -، كذلك عند الشافعية كتاب «السلسلة في القولين»، عند الحنفية عدد من الكتب التي تُعنى بالقول، وعندهم تجد كتاب أبو الليث السمرقندي يذكر جميع الروايات، وهكذا كتب كثيرة فيه، وقلت لكم أنني لن أذكر أسماء الكتب لكي لا نشتت الذهن ولا نضيع الوقت.

✻ **النوع الثالث:** من الكتب لكي تعرف الكتاب هذا ما الغرض منه وهو الكتب التي جعلت لأجل التفریع، **بمعنى:** أن يذكر المسألة الكلية، وما الذي يتفرع عليها؟ هذا النوع من الكتب مهم جداً في اكتساب ملكة الفقه، **يعني:** يعطيك القاعدة الفرع وهو الأساس، ثمَّ يستقرئ لها أصلاً ثمَّ يبيّن على هذا الأصل العدد من الفروع الفقهية، كتب التفریع هذه من الكتب المهمة، التي تكسب الشخص الملكة، وتكسبه حسن بناء المسائل بعضها على بعض، وألاً يناقض قوله في مسألة المسألة الأخرى، ومن أندر الكتب، أنا أعطيك الكتب الواضحة التي هي مشهور جداً، منها كتاب «صاحب الإنصاف» الذي ذكرناه قبل قليل فإنه يُعنى بالتفریع فيقول: هذه المسألة بُني عليها كذا، ولكن إذا قال فوائد يقول: وعلى القول بالقول الأوّل فيكون كذا وكذا، وعلى القول بالقول الثاني كذا، «المعني» يعني دائماً بالتفریع، فيذكر المسألة بالكلية ومناطها ثمَّ يذكر التفریع تحتها بعد ذلك، هذا علم التفریع الفقهي له قواعده الحاكمة له، وبالإمكان أن نجعل يوماً كاملاً في التفریع، لكن بعض القواعد أن تفریع المبدع عندهم قاعدة أننا لا نفرع إلا على القول المعتمد، القول غير المعتمد لا يفرع عليه، إلا من باب التفقه فقط، ولذلك دائماً إذا رأيت قولاً قد فرّع عليه فهو المعتمد، نصّ على ذلك في «الإنصاف»، ونصّ على ذلك صاحب «العزیز»، قال: ولا تفریع

إِلَّا عَلَى الْمُعْتَمَدِ، فَإِذَا رَأَيْتَهُمْ يُفَرِّعُونَ عَلَى قَوْلٍ **إِذْنٌ**: هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الْمُعْتَمَدُ عِنْدَهُمْ، الْقَوْلُ الثَّانِي إِذَا لَمْ يُفَرِّعُوا عَلَيْهِ فَلَيْسَ بِالْمُعْتَمَدِ.

الأمر الثاني: أَنَّ فائدة التفریع أنه يعطيك لوازم القول وما بُني عليه فإن كان القول فيه إشكال فالتفریع سيكون فيه إشكال، ولذلك بعد التفریع قد تصحَّح اجتهداك في القول الأوَّل فتجعل له قيداً، ولذلك العلماء عندما يأتون بالمسألة ويُفَرِّعُونَ عليها ثُمَّ ينتصرون للأصل فمعناه أنهم نظروا القول، ونظروا إلى لوازمه، فوجدوا أنه منضبط، وأنه مضطرد، وهذا ممَّا يقوي تصحيح القول الأوَّل؛ لأنكم تعلمون أَنَّ من نواقض العلة والحكم وهو العكس، بأن تأتي بما وافقه في العلة، ولا تأتي فيه بالحكم فيكون حينئذٍ ناقضاً. **إِذْنٌ**: كتب التفریع هذه مهمة، وغالب من يستفيد منها أحد اثنين:

- إِمَّا شَخْصٌ يَكْتَسِبُ الْمُلْكَةَ، مُلْكَةَ الْفَقْهِ.
 - أَوْ رَجُلٌ يَبْحَثُ عَنْ جُزْئِيَّةٍ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ يَرِيدُ حَكْمَهَا فَيَجِدُ فِي التَّفَرِيعِ.
- وهذه مسائل التفریع هي التي أطالوا فيها الكلام، وأنصح بكلام ابن القيم في مسألة "أَرَأَيْتَ أَرَأَيْتَ"، "أَرَأَيْتَ أَرَأَيْتَ" هي التفریع، لكن بعض "أَرَأَيْتَ أَرَأَيْتَ" مذموم، وبعض أَرَأَيْتَ أَوْ بَعْضُ الرَّأْيِ مَمْدُوحٌ، وَالْكَلَامُ فِي التَّفَرِيعِ هَذَا قَلَّتْ لَكُمْ يَحْتَاجُ يَوْمَ كَامِلٍ، مَتَى يَكُونُ مَمْدُوحٌ وَمَتَى يَكُونُ مَذْمُوماً.

🌟 **النوع الرابع:** ممَّا كَانَ غَرَضًا فِي التَّأْلِيفِ فِي الْكِتَابِ وَهُوَ أَنْ يُؤَلَّفَ كِتَابُ الْفَقْهِ لِلتَّوْضِيحِ فَقَطْ، يَأْتِيكَ لِتَوْضِيحِ الْمَعَانِي، وَغَالِبًا هَذَا فِي الشُّرُوحِ، وَكُلُّ الْمَخْتَصِرَاتِ، **وَمِثْلُ**: تَوْضِيحِ الْحَوَاشِي، عِنْدَمَا تَجِدُ لِلْكِتَابِ شَرْحًا وَحَاشِيَةً، كَيْفَ تَفَرِّقُ بَيْنَهُمَا؟ الشَّرْحُ لِلتَّوْضِيحِ، وَالْحَاشِيَةُ لِلِاسْتِدْرَاكِ غَالِبًا - أَنَا أَقُولُ: هَذَا غَالِبًا لَيْسَ عَلَى سَبِيلِ الطَّرْدِ -، غَالِبًا

الشرح يكون لتوضيح، إذا كان عندك متن ترجع له، فإذا أردت توضيحه ترجع للشرح، الاستدراك والملاحظة، والعناية ببعض دقائق المسائل تجدها في الحواشي ولا تجدها في الشروح، فكتب الشروح في الأصل المقصود منها التوضيح وليس المقصود منها التفريع، لكن قد يستطرد بعض الشراح فيفرع، الشروح في الأصل المقصود منها ليس التدليل، ولكن بعض الشروح تُعنى بالتدليل، فتجمع بين التوضيح والتدليل، الشروح في الأصل لا يقصد منها ذكر الخلاف، لا النازل ولا العالي، لكن بعض الشراح يذكر هذا وذاك، ولذلك أن تأتي بشرح يجمع هذه الأمور كلها، كان بعض أهل العلم يقول يظن ذلك فإنه سيكبر الكتاب ويجعل هذا الكتاب مرجعاً في كل شيء، قالوا: وهذا إنما يكون في كتب معدودة **مثل**: كتاب «المغني» وغيرها الذي يشمل كل شيء.

هذه بعض الأغراض في التأليف؛ لأن طرق العلماء في التأليف عجيبة جداً ومتنوعة، ولو أردنا أن نتبع كتبهم وطرائقهم فهي عجيبة، فبعضهم يؤلف كتب فقط في الألغاز الفقهية، وبعضهم يؤلف كتب - **مثل**: ابن مازة الحنفي - في المسائل المحيرة، ما هي المسائل المحيرة؟ التي حيرتهم فلم يجدوا لها جواباً، هناك مسائل يقولون: ما أدري، هذه المسائل المحيرة طبع كتاب ابن مازة وفيه مجلد سمّاه «المسائل المحيرة»، بعض من أهل العلم يؤلف كتاباً في مسألة بعينها أو في باب بعينه، أنا أعرف الكتب التي ألفت في باب مهمة جداً فإنها في الغالب تكون فيها من التفريع والتدقيق ما لا يوجد في غيرها، فكل فقيه من الفقهاء الكبار - أنا أتكلم عن المتقدمين - إذا ألفت في باب على سبيل الخصوص فإنه يتوسع في **مثل**: بعض الذين ألفتوا في أحكام القضاء، وتوسعوا فيه وهكذا، بعض العلماء يؤلف كتباً فقط في غريب ألفاظ الفقهاء، القصد من بيان ألفاظ الغريب، **مثل**: كتاب ابن

جني في «غريب المدونة»، **ومثل**: «المطلع»، **ومثل**: «تهذيب الأسماء واللغات» لابن أبي الوفا القرشي، أو «طرق الهداية»، أو «تهذيب الأسماء واللغات في المذهب» للنووي، أو «المغري» لابن باطش، الكتب كثيرة من ضمنها ما أذكر أسماءها.

إذن: مهم جداً إذا أردت أن تقرأ كتاب، قبل أن تقرأ الكتاب يجب أن تعرف أن هذا الكتاب الفقهي لم يُؤلف، كيف تعرف ذلك؟ بفتح مقدمته، فأول ما تقرأ كتاباً اقرأ مقدمته لتعرف هذا الكتاب لم يُؤلف؟ وما غرض المؤلف من تأليفه؟، فحينئذ إذا أردت مسألة أو أمراً معيناً في كتب الفقه عرفت ما الذي ترجع له وما الذي لا ترجع له؟

بعض الإخوان يقول هذه المسألة يقولون موجودة عند المالكية، بحثت في الشاملة فلم أجدها، أقول: لن تجدها هنا، ستجد هذه المسألة؛ لأنها من التفرعات في كتب التفرع **مثل**: «التبصرة» لللخمي ستجد فيه، أو الكتب التي عُنت بالتفرع، وهكذا، أحد يقول: أبحث عن دليل، ابحثه هنا، وآخر يبحث عن تفرع، وهذا يجدها في مسألته. **إذن**: معرفة مظنة المسائل مهم جداً.

□ **خاتمة:**

موضوعنا صلب المحاضرة هو الآن: كيف تقرأ كتاب فقه؟
 ✨ باختصار، اعرف نوع الكتاب الذي ستقرؤه، فاقرأه للغرض الذي أُؤلف له هذا واحد.

✨ **الأمر الثاني**: إياك أن تقرأ كتاب فقه دون دربتك ومعرفتك بمصطلح أهل الفن، من لم يعرف مصطلح أهل الفن يأتي بغرائب الأمور وعجائب الفهوم، من لم يقرأ في رسائل الباحثين المعاصرين وخاصة طلاب الماجستير يقرأ عجب، فهم كلام بلغتنا الدارجة، أو

فهم كلام هذا الفقيه بلغة شرّاح الحديث، أو فهم كلام هذا الفقيه بلغة الأصوليين؛ لأن استخدام الفقهاء أحياناً يخالف استخدام الأصوليين، وهناك محاضرة كاملة تكلمنا عن قضية الفرق بين استخدام هؤلاء وهؤلاء.

إذن: لا بدّ أن تعرف اصطلاح القول، من النكت التي تذكر، يقول ابن بدران: أنني كنت أقرأ على شيخي في الشام فجاء باب المدبّر، فجاء أحد الطلاب يسأل ابن بدران قال يا شيخ ما معنى المدبّر؟ يقول فهذا الشيخ حكّ رأسه - هو ما قال هكذا أنا أحكيها بالمعنى - فجلس يحكّ رأسه وأرجع عمامته قليلاً ثمّ قدمها، قال: المدبّر هو الذي يأتيه سيّده في دُبره، هذا جاهل ويُدرّس، هذا ذكره الشيخ عبدالقادر بن بدران، المدبّر هو من؟ هو الذي علّق عتقه على الوفاة، فيكون عتقه معلقاً على دُبر الحياة **أي:** في آخرها بعد الوفاة مباشرة، يقول: عبد فلان حر إذا مت، وحكمه حكم الوصية في الجملة، فيجوز بيعه ويجوز الرجوع فيه وهكذا.

إذن: بعض الناس يفهم خطأ، وذكر أظن صاحب «المواهب» الخطاب أو غيره قال عن بعض الضعفاء يشرح كتاب خليل بن إسحاق في الفقه، فمرّ بقوله في باب الوليمة وهو في الأكل بالخيار، فظنّ أنّ قوله: بالخيار **أي:** يأكل مقدار خياره، فكان يشرح للطلاب يقول: وأقل ما يعد أكلاً **أي:** وليمة النكاح أن يأكل بحجم الخيار. **إذن:** مصطلح الفقهاء مهم جداً أن يعرفه، وهكذا الأمثلة كثيرة جداً بالعشرات لكن نذكر بعضها فقط.

إذن: معرفة مصطلح أهل الفن مهم، كيف تعرف مصطلح أهل الفن؟ بقراءة العلم على أهله، أسرع طريقة أن تقرأ على شيخ يعلم الفن، بل هل تعلم أنّه قد يكون لأحد المذهبيين مصطلح يستخدم غير المصطلح الثاني، بل المذهب الواحد، مدرسة العراقيين

تخالف مدرسة الشاميين، حتى الحنابلة في بعض المصطلحات عند العراقيين لها مصطلح غير مذهب مصطلح الشاميين، **مثل**: ما جاء في كتاب [...]، كلمات له دلالة تختلف عن دلالة عند الموفق وغيره، **إذن**: أهم شيء أن تعرف مصطلحات أهل الفن، والحديث فيه طويل، من المصطلحات معرفة الأسماء، معرفة الرموز، معرفة أشياء كثيرة، كل بحسبه، المبتدئ له مصطلحات، والمنتهي له مصطلحات، وكل كتاب له مصطلحات.

❁ **الأمر الثالث**: إذا أردت أن تقرأ كتب الفقه فاعلم أن قراءة كتب الفقه تحتاج إلى تأمل فلا تُقرأ بسرعة، وأن تقف مع اللفظ، واعلم أن كتب الفقه فيها ميزة، وخاصة كتب الفقه التي ألفها العلماء في المذاهب الأربعة، فإن الكتاب الواحد إذا ألفه الرجل فإنه في الغالب يكون قد أخذه من قبله، فاختصر عبارة من قبله، فهو محاكٍ له، ثم إذا ألف هذا الكتاب جاء بعده من يشرحه، ثم جاء من يحشي عليه ويستدرك عليه، وهذا من المكتوب، ناهيك عن الألف الذين قرؤوه وبيّنوا الخطأ فيه، ولذلك - وخاصة المتون المشهورة - في الغالب لمن أراد أن يتعب سيجد أنه مخدوم خدمة دقيقة جداً، وكل كلمة فيها موزونة، فإذا كان الكلمة غير موزونة صحّحوها في كتاب أو في آخر، لكن بعض الطلبة قد يقف على الكتاب أو لا يقف عليه، أمّا الذي يؤلف ابتداءً بلغته الآن ثق أن في كلامه قد يكون فيه بعض الخطأ ما لم يستفد من كلام الأوائل.

إذن: العلماء بعضهم يأخذ من بعض، ولذلك إذا أردت أن تقرأ كتبهم فاقرأها بتأمل، واقرأها بنظر دقيق؛ لأن لهم اعتباراً كبيراً، بعض أهل العلم لمّا ألف بعض الشروحات، كانت طريقته أن يذكر المنطوق، ثم يذكر المفهوم، ويبيّن صحة المفهوم من عدمه، كما هي طريقة صاحب «الإكليل في شرح مختصر الخليل»، فهذا كتاب جميل في بيان المنطوق لكل

مسألة والمفهوم، وابن المنجي في «الممتع» كثيراً ما يبين مفهوم صاحب كلام «المقنع» يقول: مفهومه كذا، ومفهومه كذا، وأصحاب الحواشي والشروح، **مثل**: «المنتهى» و«الإقناع» دائماً ما يذكرون مفهوم المنطوق ويبيّنونه، ولذلك عندهم قاعدة: هل المقدم مفهوم «المنتهى» أم منطوق «الإقناع»؟ قالوا: إنَّ منطوق «الإقناع» مقدّم على مفهوم «المنتهى»، وأمّا إن كان منطوقاً فيقدّم منطوق «المنتهى» عليه، وهذه المسألة مشهورة الكل يعرفها.

✽ **الأمر الأخير**: في مسألة كيفية قراءة كتب الفقه أنه لا بدّ في كتب الفقه من إعادتها، وتكرارها وعدم الاكتفاء بمرّة، حقيقة أحزن عندما أرى طالباً نجياً يقول أنا قرأت الكتاب الفلاني ولن أرجع له، أو يقول قرأت الفقه، الفقه للاستغراق، ماذا قرأت؟ قرأت الكتاب الفلاني، تعجب أن تخرج منه هذه الكلمة مع نجابته وذكائه وحرصه، لا يمكن أن تنال العلم بقراءة ولا قراءتين ولا ثلاثة ولا أربعة، كلنا إلّا ما ندر من الناس يستحضر الشيء قريباً ثمّ ينساه، إلّا قلة من الناس، علماء النفس يقولون: لا يوجد في العصر كله إلّا عشرة، كل عصر يوجد عشرة عندهم هذه الحالة التي إذا مرّ عليه شيء لا ينساه، العلم ينسى، فلا بدّ لك من استذكاره، فلا بدّ من المراجعة، نحن نقول العلم يُنسى، فكيف يمكنك أن تستذكر هذا الكلام عندما تقرأ كتاب الفقه؟ لأهل العلم مسالك، افعل أي مسلك من هذه المسالك سأذكر بعضها على سبيل التمثيل لكي لا يظن المرء أنه على سبيل الحصر، بعض أهل العلم وهذه الطريقة قديمة عندهم أنه كان يجعل له كتاباً واحداً من كتب الفقه يرجع إليه دائماً، وكل كتاب فقه يقرؤه يجد فيه زيادة على هذا الكتاب فيثبت هذه الزيادة في هامش هذا الكتاب، فيكون هذا الكتاب عنده هو المرجع، إذا أراد أن يراجع أو يستذكر أو

يُحْضِرُ لِدَرْسٍ رَجَعَ لِكِتَابِهِ هَذَا فَقَطْ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ نَسْخَةُ فَلَانٍ مِنْ كِتَابٍ كَذَا، تَجِدُهَا مِلْيَةً بِالْحَوَاشِي، شَيْخُنَا الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ الرَّبَاطِيُّ الْمَتَوَفَى سَنَةَ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ وَخَمْسٍ وَثَمَانِينَ نَسْخَةً مِنْ «الرُّوضِ» مِلْيَةً بِالتَّعْلِيقَاتِ، وَنَسْخَتِهِ مِنْ «الْمُنْتَهَى» مِلْيَةً بِالتَّعْلِيقَاتِ، وَجَدَ فَائِدَةً عِنْدَ شَخْصٍ وَقَفَ عَلَى كِتَابِ أَثْبَتَهُ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ: أَنَّ أَحْيَانًا قَدْ تَأْتِيكَ السَّانِحَةُ فِي مَسْأَلَةٍ فِقْهِيَّةٍ إِنْ لَمْ تَسْجُلْهَا ضَاعَتْ، كَيْفَ تَسْجُلْهَا فِي مَحَلِّهَا؟ فِي مِزَّةِ أَنْكَ تَسْجُلْهَا عَلَى مِزَّتِهَا بِالْكِتَابِ، أَنْكَ حَتَّى تَرْجِعَ لِهَذَا الْكِتَابِ وَتَجِدَ الْمِزَّةَ سَتَسْتَذَكِرُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ وَمَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، وَتَسْتَقْرَأُ حَتَّى تَجِدَ الْمَسْأَلَةَ فِي مِزَّتِهَا، هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ.

طَرِيقَةُ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ آخَرُونَ: أَنَّهُ إِذَا وَجَدَ مَسْأَلَةَ كِتَابِهَا، ثُمَّ يَجْمَعُ الْمَتَنَاظِرَاتِ وَحَدَّهَا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُؤَلِّفُ بَيْنَهَا، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ جَمْعِ النَّظَائِرِ، وَهَنَّاكَ طَرُقٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا، بَعْضُهُمْ إِذَا وَجَدَ فَائِدَةً لَا بَدَّ أَنْ يَلْتَقِيَ بِطَالِبٍ أَوْ بِزَمِيلٍ فَيُخْبِرُهُ بِهَذِهِ الْفَائِدَةِ لِكَيْ لَا يَنْسَاهَا، دَائِمًا الْفَائِدَةُ إِذَا قَرَأْتَهَا خَبَّرَ بِهَا زَمِيلَكَ، تَبْقَى فِي ذَهْنِكَ أَكْثَرُ، دَائِمًا تَكَلِّمُ بِالْفَائِدَةِ، لَا تَكُنْ ضَنِينًا بِهَا، فَإِنَّ الْحَدِيثَ بِالْعِلْمِ زَكَاتُهُ، وَالزَّكَاةُ نَمَاءٌ لَهُ، وَهَذَا مُجَرَّبٌ، كُلُّ فَائِدَةٍ تَجِدُهَا خَبَّرَ النَّاسَ بِهَا، قَلَّ لَزَمَلَاثُكَ وَجَدْتَ هَذِهِ الْفَائِدَةَ، وَتَكَلِّمُ بِهَا فَإِنَّهَا تَثْبِتُ فِي الذَّهْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ**.

❁ **مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِقِرَاءَةِ كِتَابِ الْفِقْهِ:** أَنَّ قِرَاءَةَ كِتَابِ الْفِقْهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُهْمَةِ فِيهَا أَنْ تَقْرَأَ عَلَى الشَّيْخِ، وَلِذَلِكَ -سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ- مِنْ خِصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقِرَاءَةُ عَلَى الْمَشَايِخِ، وَاحْرَصْ عَلَى أَنْ تَقْرَأَ عَلَى شَيْخٍ يَحْسُنُ الْفَنَ؛ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْفَنَ عَلَى رُؤُوسِ الطَّلَابِ، فَيَقُولُ أَقْرَأْ الطَّلَابُ هَذَا الْفَنَ لِأَتَعَلَّمَهُ، مَنْ لَا يُحْسِنُ الْأُصُولَ يَقُولُ: سَأَدْرُسُ الْأُصُولَ لِأَفْهَمَ الْأُصُولَ، أَنْتَ تَظْلِمُ الطَّلَابَ الَّذِينَ عِنْدَكَ، فَلَا تَقْرَأُ الْفَنَ إِلَّا عَلَى مَنْ يُحْسِنُهُ، لَنْ تَصِلَ لِمَنْ وَصَلَ أَوْ قَدْ لَا تَجِدُ مَنْ وَصَلَ فِي الْعِلْمِ مُنْتَهَاهُ، أَوْ بَلَغَ فِيهِ دَرَجَةُ

عالية، وإنَّما الإنسان يبحث عن من يقرأ عليه، وطريقة أغلب المشايخ أو كثير من المشايخ أنَّه يستمر في القراءة على شيخه حتى يفرِّق بينهما سفر أو عجز أو وفاة، الشيخ - عليه رحمة الله - كان يحضر درسه أناس في السبعين من عمرهم، ما انقطعوا عن درسه، بعض الإخوان يبدأ في الدرس أسبوعين ثلاثة ثمَّ ينقطع، يمل، هذا ليس بطالب علم، الثاني يحضر ثمَّ يقول: اكتفيت، لا تقطع، وخاصة إذا كان شيخك له فضل عليك، لا تقطع الدرس أبداً، إلَّا أن يفرِّق بينكم عجز أو موت أو سفر، وهذه ملاحظة عند أهل العلم قديماً، ولذلك كان أهل الحديث يكتبون يقولون: من المحبرة إلى المقبرة، وما زال بعض أهل العلم يحضر، لا يلزم أن يكون درساً طويلاً وإنَّما درس القراءة، والإفادة، وحلق العلم وخاصةً من أخذ عن شيخه ونسب له الفضل، فيه من البركة ما لا تعلم، كما قال بعض أهل العلم: إنَّ من بركة العلم نسبه إلى أهله، وأن يُنسب إلى الأشيخ ويذكرون ويترحم عليهم.

إذن: قصدي في قضية القراءة على المشايخ مهمَّة، والاستمرار فيها أهم، حتى وإن نال المرءُ علماً عظيماً، نعم بعض المشايخ يقول لتلميذه: رح عني، **مثل:** بعض مشايخ الشيخ عبد العزيز لمَّا قرأ عليه قال له الشيخ صالح بن عبد العزيز: الذي عندي أخذته يا شيخ، **رحمةُ الله** محمد بن إبراهيم، الذي عندي انتهى، الشيخ طرد تلميذه قال: رح، أنت الآن وصلت لمرحلة أعلى مني، والشيخ جاوز الشيخ نفسه عبد العزيز بن باز - عليه رحمة الله - ، **فالمقصود:** من هذا أنَّ الاستمرار هذا مهم جداً، فاجعل في ذهنك الاستمرار وهذا من بركة العلم.

الحقيقة الحديث طويل، وصعب، فلا أخفيكم أنِّي أتيت وأنا لم أستطع أن أرتب أفكاراً في هذا الموضوع، ولذلك جمعت من هاهنا وهاهنا، لأملأ الوقت.

لذلك أسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** للجميع التوفيق والسداد، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يتولانا بهداه، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات وصَلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على نبيِّنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحَاضَرَةُ أُلُقِيَت

بعد صلاة العشاء من يوم الجمعة التاسع والعشرون

من شهر ذي الحجة

سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ وَالْأَلْفِ

بمسجد الشعبي الجهراء تيماء ق٢ مقابل جمعية تيماء

بمدينة الكويت

